دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	العمارة التقليدية بإقليم توات : القصر أنموذجاً
المصدر:	دورية كان التاريخية
الناشر:	مؤسسة كان التاريخية
المؤلف الرئيسي:	عبدالله، نور الدين
المجلد/العدد:	س 5, ع 15
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2012
الشهر:	مارس / ربيع الثاني
الصفحات:	122 - 128
رقم MD:	454595
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الفنون الإسلامية، الجزائر، إقليم توات، العمارة الإسلامية، بناء القصور، تخطيط المدن، العلوم عند المسلمين
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/454595

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

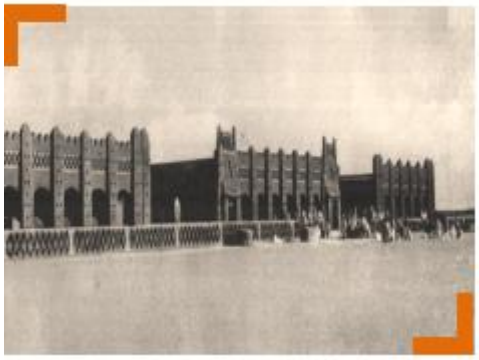

العمارة التقليدية بإقليم توات
" القصر أنموذجا"

نور الدين بن عبد الله
أستاذ الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة الجلفة – الجمهورية الجزائرية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية بإقليم توات: القصر أنموذجا. – دورية كان التاريخية.– العدد الخامس عشر؛ مارس ٢٠١٢. ص ١٢٢ – ١٢٨.
www.kanhistorique.org ISSN :2090-0449
خمسة أعوام من الدراسات التاريخية 2008–2012

ملخّص
تهدف هذه الدراسة إلى تقديم مفهوم جديد لمصطلح القصر ،وذلك في بلدان المغرب العربي، وقد اخترنا إقليم صحراوي في الجنوب الغربي الجزائري، لنحدد دلالة مصطلح القصر فيه، واختلافها عن ما ألفناه في العمارة الإسلامية، بما في ذلك عمارة المدن الشمالية للجزائر، حيث كان القصر ذاك البناء الضخم الدال على ثراء أصحابه، والمخصص في غالب الأحيان للسلطان أو الحاكم، لنجده في مناطق إقليم توات، يدل على نسيج معماري، لجماعة تربط بينها علائق مختلفة، ولهذا كان القصر في هذه المناطق يندرج ضمن العمران التقليدي، وبعد معاينة العناصر المعمارية للقصر، لاحظنا التشابه الكبير بينها وبين نسيج المدينة الإسلامية، وعليه فقد خلصنا إلى أن العامل في هذا التشابه هو وحدة الفكر الموجه لعملية البناء، والمتمثل في الدين الإسلامي.

مُقدمة
يتسم شمال إفريقيا بظاهرة معمارية تكاد تكون فريدة من نوعها، تتمثل في ما يعرف تحت اسم القصور، فقد عرفت في معظم بلدان البلدان (تونس، الجزائر، المغرب). وقد امتاز الجنوب الجزائري، بنسبة كبيرة من هذه الكتل المعمارية، ومن ذلك ما عرف به إقليم توات، كأحد الأقاليم الصحراوية، حيث يضم هذا الإقليم حوالي ٣٦٠ قصرًا موزعة في كامل مناطقه، إلا أن القصر في حد ذاته يطرح العديد من الاستفسارات، ذلك لاختلافه عما ألفناه من دلالة للمصطلح، سواءً كان في العمارة الإسلامية، أو عمارة المدن الشمالية من الجزائر، فكلمة القصر من مدلولاتها، أنها ذلك المبني الضخم المخصص للحاكم أو الأسر الثرية، إلا أن هذا لا ينطبق على مدن الجنوب، كما أن القصر بمكوناته المعمارية، يشبه لحد كبير عمارة المدينة في الإسلام، ولهذه الأسباب حاولنا الوقوف عند هذا النسيج المعماري (القصر) في مناطق إقليم توات، وقد حاولنا تلخيص إشكالية الموضوع، في المحاور التالية: مفهوم القصر في مناطق الإقليم – العناصر المعمارية للقصر – علاقة القصر بالمدينة الإسلامية.

١- إقليم توات (الموقع والخصائص)
يُعد إقليم توات[١] أحد الأقاليم الصحراوية التي كان لها حضور في تاريخ البشرية، و قد اعتمدت هذه التسمية عند المؤرخين للتعبير عن الإطار الجغرافي الذي يضم المقاطعات الثلاث، توات الوسطى، القورارة والتيديكلت، والإقليم حاليا يقع ضمن المناطق الجنوبية الغربية للجزائر، حيث تبعُد أقرب نقطة فيه عن الجزائر العاصمة حوالي ١٢٤٠ كم.

يقع إقليم توات، جنوب غرب الصحراء الجزائرية، التي هي جزء من الصحراء الإفريقية الكبرى, حيث يشمل هذا الإقليم على عدد من الواحات والقصور، التي تزيد عن الثلاثمائة وخمسين واحة متناثرة بين الرمال، وهي تغطي حوالي ألفي ميلا مربعا, يحده من الشمال العرق الغربي الكبير ووادي مقيدن، ومن الجنوب صحراء تنزروفت، وهي صحاري خالية ,وكذلك وادي قاريت؛ وجبال مويدير ,كما يحده من الغرب وادي الساورة وروافد وادي مسعود.[٢] أما الحدود الفلكية للإقليم، فهي بين خطي عرض (٠٢٦ – ٠٣٠) شمالاً , وخطي طول ٤٠ غربًا إلى ١ شرقًا, وهو يمثل امتداد طبيعيًا لمنخفض تنزروفت نحو الشمال. وإقليم توات يقع حاليًا ضمن ثلاث مناطق كما أسلفنا وهي: (ادرار), والتي كانت تسمي قديمًا بتوات، ومنطقة تيميمون، المعروفة باسم القورارة, ومنطقة التيديكلت التي تضم منطقة عين صالح وما حولها, أولف اقبلي)

٢- جيولوجية الإقليم

يلاحظ من المميزات الجيولوجية، أن توات منطقة ذات رواسب فيضية، تعود إلى الزمن الجيولوجي الرابع، حيث تتسع في الجهة الغربية وجنوب هضبة تادمايت، تميزها الصخور الكريتاسية، بينما تحدها من جهة الشمال كثبان العرق الغربي، ومن جهة الغرب في اتجاه الضفة اليمني لوادي الساورة، رمال ايقيدي، أما من جهة الجنوب فان هضبة "المويدير" ذات الصخور الديفونية تكون الحدود الطبيعية لسهول توات.[٣] كما تعمل الحمادات الصخرية وأشرطة الكثبان الرملية، على تقسيم سهول الإقليم إلى أحواض منعزلة بعضها عن بعض؛ والملاحظ لهذه البنية الجيولوجية الصخرية، يرى أنها تتكون من مجموعة صخور وهي:[٤]

١/٢ – صخور قديمة تعود إلى ما قبل الزمن الأول:

وهي تكون القاعدة السفلى للطبقات الرسوبية، وقد تشكلت عبر الأزمنة الجيولوجية التي تلت الأول، وتظهر خصوصًا بمنطقة الخطوط الانكسارية، مثل الخط الغربي الممتد على طول حوض وادي الساورة ووادي مسعود، والخط الشرقي الممتد جنوب شرق العرق الكبير من شمال المنيعة، في اتجاه الجنوب الغربي نحو توات.

٢/٢ – صخور الزمن الثاني:

خصوصًا عصر الكريتاسي الأوسط، التي تمتد معظمها على الجانب الشرقي للخط الانكساري الشرقي، وصخور العصر الكريتاسي الأسفل، التي تمتد بشكل واسع على الجانب الشمالي والشمالي الغربي، للخط الانكساري الشرقي. فهذه البنية الجيولوجية أعطت لمناطق الإقليم مميزات تضاريسية منها:

- العرق الذي يمتد بالقسم الشمالي لتواتي.
- الحمادات ذات الشكل المتحجر.
- سلاسل جبلية ذات ارتفاعات بسيطة ،مكونة في معظمها من صخور الشيست.[٥]

إضافةً إلى عدد من السلاسل والكتل المتناثرة في القسم الشرقي من توات، والتي تتخلل عددًا من الأحواض والسهول والسبخات.

٣- مناخ الإقليم

تعتبر دراسة الغلاف الجوي ومعرفة خصائصه مهمة للكائنات وخاصة الإنسان، فالأرض في دورانها حول نفسها محاطة بغلاف غازي يعتبر جزءا منها، ويبدو واضحا أثر هذا الغلاف إذا تحرك الهواء بسرعة، لأن الهواء هو الحيز الذي يعيش فيه الإنسان والحيوان، وهي ملزمة عند القيام بأي مشروع معماري وعمراني.[٦]ومن أهم عناصر المناخ اللازمة لذلك ما يلي:

أ – الحرارة والإشعاع الشمسي .

ب – الضغط الجوي والرياح.

ج – الرطوبة.

د – الأمطار.

١/٣– الحرارة والإشعاع الشمسي:

يعتبر عنصر **الحرارة** من أهم عناصر المناخ، حيث تختلف درجات الحرارة من مناطق إلى أخرى، إذ أن الحرارة ترتبط بكمية الإشعاع الشمسي الوارد إلى الأرض وبكمية الإشعاع الصادر منها، وتعد خطوط العرض من أهم العوامل المؤثر في توزيع درجات الحرارة، فالمناطق التي تقع على خط عرض واحد، تنال نفس القدر من أشعة الشمس؛ وإذا علمنا أن مناطق الإقليم تقع ضمن

الصحراء الإفريقية الكبرى وكونها تقع بين خطي عرض (٢٦ ْ – ٣٠ ْ) شمالاً ومن ذلك فكمية الإشعاع الشمسي لتلك المناطق تكون كبيرة. وعلى هذا الأساس امتاز الإقليم بمناخ صحراوي جاف شديد البرودة شتاءًا، وحار صيفًا حيث تصل درجة الحرارة أحيانًا إلى ٥٠ ْ درجة تحت الظل، كما يمتاز بقلة الأمطار وهبوب الرياح مع قلة الرطوبة وكل هذه العوامل تؤثر في درجة الحرارة.

4- الموارد المائية

تتجمع واحات الإقليم في منطقة أقل فقرًا من الماء بهذا المجال الصحراوي، فهي توجد في حوض هيدروغرافي يجري منذ فترات ما قبل التاريخ، من الأطلس حتي النيجر أو على الأقل حتي حوض التاوديني .[٧] وعليه فهي تنتشر على طول وادي الساورة ووادي مسعود، وسبخة تيميمون بالقورارة، ومن هذا فالوادي والسبخة هما العاملان المؤثران جغرافيا، إلا أن السبخة لا تستعمل نظرًا لعدم صلاحية مياهها. أما وادي الساورة الذي يمتد حتي قصور لقصابي،[٨] (تسابيت) ضواحي توات، وتغذي مياهه الآبار الواسعة، والتي بدورها تستعمل في الري عن طريق نموذج عُرف منذ القديم بـ "الفقارة"،[٩] حيث تعتبر المورد الأساسي لحياة الإنسان والنبات والحيوان في المنطقة.

وقد أثرت هذه العوامل الفيزيائية في توزيع الواحات في الإقليم، حيث نجد أن جل الواحات تقع في الجهة الشرقية للوادي، أو السبخة. فبين (مأزر) في الشمال، و(لقصابي) في الجنوب، على طول الساورة هناك حوالي (٣٠) واحة تقريبًا كلها توجد على الضفة اليسرى (الشرقية) للوادي، وحول سبخة تيميمون توجد حوالي (١٥) واحة كلها بالجهة الشرقية.[١٠] والسر في المنطقة الشرقية لوادي الساورة وسبخة القورارة، أنها أماكن تكثر فيها الآبار وبالتالي تتمركز حولها الحياة، والتي تنشأ منها القصور، والمهم ليس هو وجود الوادي والسبخة فقط، وإنما قدرتهما على النحت الذي يؤثر في الطبقات الصخرية النفوذة، ليصل إلى طبقة العصر الديفوني، التي تتجمع عندها الأحواض المائية، والتي لا تسمح بنفاذه إلى أعمق من ذلك. كما أن أطراف الوادي والسبخة، تحتوي على رطوبة مهمة، فهذه الرطوبة مع عامل النحت الذي يساعد على ظهورها، من أهم العوامل في الاستقرار البشري، وتحديد وضعيته الجغرافية.[١١]

5- مفهوم القصر في عمارة الصحراء

يعرف القصر في المصادر اللغوية بأنه الحبس، ومنه ما جاء في حديث أسماء الأشهيلية: (إنا معشر النساء محصورات مقصورات)، وقصرت عن الشيء قصورًا، تعني عجزت عنه ولم أبلغه؛ والقصر من البناء هو المنزل، وقيل كل بيت من حجر لأنه تقصر فيه الحرم أي تحبس، ومن ذلك قول الله تعالى في سورة الرحمان(حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيامِ). كما تُعرف لفظة القصر على أنها أصول الشجر والنخِل العظام، إذا وقع وقطع،[١٢] وهذا التشبيه لما يرفع في القصور من أسقف تحملها جذوع النخيل والأشجار العظام, وبعدها الأعمدة

بأنواعها. والملاحظ من التعريف اللغوي لمصطلح القصر، أنه الحبس أو المنعة، يجد أن كلها معاني تصب في الخصائص المعمارية للقصر. ويقترب هذا المفهوم من المصطلح المتداول، والشائع في المصادر التاريخية، حيث يقصد بالقصر، مقر الخليفة، وأفراد عائلته، وحاشيته.(١٣)

وقد تنافس الخلفاء والسلاطين في العهد الإسلامي في تشييد القصور، التي كانت رمز قوتهم وثرائهم، فاتخذوا القصور العالية، ذات الأبواب الضخمة، والزخارف البديعة، والحدائق الغناء، كما تعددت مهام تلك القصور، فكان منها ما خصص للراحة والاستجمام، وقد اتخذت لها المواقع الخاصة بها داخل وخارج المدن (البوادي)،(١٤) وقد أبدع الفنان المسلم في بناء وزخرفة القصور حتي أضحت تحفًا معمارية شاهدة على عظمة من بنوها، كما فتن الشعراء بجمال زخرفتها وبديع عمرانها، حتي أضحت أشعارهم، تأريخًا معمارية للقصور، ومن ذلك ما قاله الخزيمي ، في وصف جمال بغداد، وحسن عمرانها، وأبهة قصورها، فقال:(١٥)

جنة ودار مغبطة قل من النائبات واترها

وهل رأيت القصور شارعة تكن مثل الدمى مقاصرها

وكما هو معروف فقد ولع الخلفاء بتشييد القصور والقلاع، بدءًا من الخلافة الأموية، وصولاً إلى العثمانية ولم تكن الجزائر بعيدة عن هذه الحركة العمرانية، حيث شهدت تشييد العديد من القصور والحصون، خاصةً في الفترة العثمانية، كما أن قصور مدينة الجزائر، امتازت بطابع التربيع والتكعيب، شأنها في ذلك شأن التصميمات التي تمتاز بها العمارة في العالم الإسلامي.(١٦)

ومن المعروف، أن النسيج العمراني لأي بلد يقوم وفق التقاليد الحضارية السائدة فيه، والتي تنتج من خلال تفاعلات كثيرة، أهمها العوامل المشتركة في الحياة الاجتماعية، والاستجابة للشروط الحضارية التي يسير عليها ذلك المجتمع، حيث نجد الدين، والعرف يتصدران تلك الشروط،(١٧) ولهذا نجد في الكثير من الأحيان، اختلاف تسميات الأشياء، من قطر إلى آخر، ومن منطقة إلى أخرى، كما هو حال مصطلح القصر، الذي اختلفت دلالاته من منطقة إلى أخرى، ومن ذلك ما نجده، بين المناطق الجنوبية للجزائر والشمالية منها، فما هو مفهوم القصر، في عمارة الجنوب وخاصةً في مناطق إقليم توات؟

لقد أخذ هذا الحيز المكاني معنا مغايرًا لما ألفناه، و لما ذكرناه آنفا، فهو عبارة عن شكل من أشكال التجمعات البشرية, والقصر في المناطق الجنوبية، يمثل نموذج حيوي لمجموعة من التقاليد السائدة بين سكان تلك المناطق، وهو فضاء يميزه ثراء معماري، فهو بذلك نسيج معماري متجانس.(١٨) كما أنه ذاك النسيج المعماري الذي يضم العديد من المنازل والأسر التي يجمعها تقارب وتشابه أنماط العيش، وأيضًا بعض الروابط الاجتماعية، ذات الأصول القبلية، والموروثة عن الأوضاع السياسية التي عرفتها منطقة معينة، أو الأدوار التي كانت تؤديها تلك القصور. هذه العوامل وغيرها هي التي تفسر كون القصر في حد ذاته، مصنف ضمن السكن القروي التقليدي المنغلق، إذ انه يتوفر على مدخل واحد يعرف باسم فم القصر، وفي بعض القصور نجد مدخلاً أو بابًا ثانويًا، يُعرف باسم "الخراجية"، كما يحاط القصر بأسوار عالية وبأبراج معدة للعملية الأمنية والحراسة المستمرة.(١٩)

١/٥ – التكوينات المعمارية للقصر

يقوم النسيج العمراني للقصر وفق تقاليد معمارية نابعة من الدين الإسلامي، الذي يستوجب ضرورة التكافل الاجتماعي وضمان الحرمات؛ فالمعماري المحلي وفق هذه الشروط، عمد إلى إعطاء القصر شكلاً معماريًا راعى فيه الحريات الشخصية للأسرة، وحماية روح الجوار، مما يتأكد معه الإحساس بالتقارب الاجتماعي والأسري، وهو ما يتوافق مع روح العقيدة الإسلامية، التي عبر عنها القرآن، ووجه إليها الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم ، بقوله: (مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا أشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر، والحمي)، وقوله صلي الله عليه وسلم: (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضا).

فالتصور الإسلامي للاجتماع يستوعب أطر الروابط الأولية، "القرابة" والتي تفرض نفسها كهياكل ضرورية، تساعد الإنسان على تحديد كونه، فلا يمكن للإنسان أن يبلغ توازنه، دون أن يضبط ويهيكل هذا الكون؛ ومن ذلك ضرورة انتسابه لأبوين، ولأسرة تتزامن مع إطار مكاني وهو المسكن، الذي يؤطر الكون الأول والأساسي للإنسان؛ فالمشروع الإسلامي يوازن بين هاته المتغيرات ،بمجموع القيم الأخلاقية الإسلامية، التي تفرض عليه أن يراعي حرمة أخيه.

ومن هذا المنطلق جاءت العناصر المعمارية للقصر في هذه المناطق، لخدمة فلسفة الاجتماع، وفق المشروع الذي حدده الإسلام، فلا يعلو بناء على آخر؛ وجاءت عمارة القصور كاللحمة الواحدة، بنيت فيه الوحدات المعمارية على شكل مدرج، تبدو فيه المساكن وكأنها معلقة، وذلك بسبب طبوغرافية الموقع. ونقصد بالتكوينات المعمارية للقصر، تلك المباني الرئيسية، والفراغات الأساسية، التي تشكل الهيكل المادي الفيزيائي العام للقصر؛ وهي: الساحات العامة، والمنشآت الدينية والمدنية، والمرافق العامة، والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

١/١/٥ – المسجد:

يعد المسجد من أهم مباني القصر، فمن خلاله تنطلق الأزقة، والدروب المتشعبة، في كامل النسيج المعماري، إلا أنه لا يحتل الموقع المركزي في الكثير من الأحيان، ومع هذا فيبقى المركز المحوري معنويًا، نظرًا للدور الذي يلعبه كنقطة استقطاب، وتوحيد لأطراف القصر، وفي هذا الصدد تبرز أهمية صلاة الجماعة، كممارسة دينية تعمل على جمع الشمل، وتوحيد الجماعة، وذلك من خلال الوظائف التي يؤديها المسجد، في حياة هذه الجماعة من عبادة، واجتماع، واتصال، وإعلام، ففيه تعقد كل المواثيق، التي تؤطر حياة الجماعة، من زواج، وطلاق وخصومات، وكذلك الوظائف التربوية، والعلمية، والثقافية؛ أما عن شكله، فغالبًا ما يكون مربعًا، أو شبه مربع، أو مستطيل، يحتوي في جدار القبلة، محراب ومنبرًا، صغيرين، إضافة إلى حنيات مثلثة الشكل، أو نصف دائرية، لوضع المصاحف، ولأغراض أخرى، كوضع قناديل الزيت، كما يحتوي على صحن جانبي في بعض الأحيان.

وفي نفس الإطار الديني لعمائر القصر، لا يمكن إغفال مقام الولي الصالح(الضريح)، الذي يتم بشكل مخروطي أو مكعب، إذ لا يخلوا منه قصر من القصور في مناطق الإقليم، إضافة إلى الدور الذي يلعبه هذا البناء، من خلال خلق فضاء زماني ومكاني، لالتقاء الأهالي، وذلك من خلال الزيارات، التي تقام لسنوية الولي، الذي يتبرك به الأهالي، وقد ارتأينا إرفاق هذا المبني ، إلى المسجد، كونه من المباني الدينية المميزة لعمارة القصور. والحديث عن المقامات يجرنا إلى الحديث عن الطقس، فالطقس، كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية **Ritus**، والتي تعني العادات والتقاليد لمجتمع معين، كما تعني كل أنواع الاحتفالات، التي تستدعي معتقدات، تكون خارج الإطار التجريبي ، وهكذا يكون الاتصال مع ما هو مقدس، هو الحافز الظاهر المسيطر على النشاط الطقسي ، وهذا يعني أن هذا الأخير، يعبر عند الإنسان، عن حاجة متجددة دائمًا للخروج من وضعه، كي يؤمن لنفسه المطمئنة.(٢٠)

٢/١/٥– المسالك والطرقات

وهي العنصر الثاني الرئيسي في تشكيل هيكل القصر، وهي بمثابة شريان القصر، الذي يوصل بين قلبها (المسجد)، وبقية أطرافها، فينظم بذلك حركتها، وهذه المسالك تنقسم إلى قسمين:

أ- **الشوارع الرئيسية:**

وهي المسالك **الرئيسية** للقصر، التي تربط مركزه المناطق المجاورة، وكذا مخارجه، أما عن طبيعة عقارها، فهي ملكية جماعية، يعود تنظيم استعمالها وصيانتها ومراقبة أحوالها إلى الجماعة. وقد أنشأت وفق التشريع الإسلامي المحدد لمقاييس الشوارع، مصداقا لقوله صلي الله عليه وسلم : (إذا اختلف الناس في الطريق فحدها سبعة أذرع)، ولعل لفظ الحديث، يفيد أن المقصود بهذا القياس ليس تحديدًا مطلقًا لكل الشوارع، وإنما هو أقل المقاييس التي تحفظ حق الطريق، وتسمح بالمرور، وباختبار تطبيقي، يكون هذا القياس، هو عرض الطريق المناسب، لمرور دابتين متخالفتين محملتين، سواء من حيث ارتفاع، أو العرض.[٢١] كما أن هذه الشوارع، تمتاز بكثرة تعرجاتها، وذلك لكسر التيارات الهوائية القوية، التي تميز المنطقة، خاصةً في فصل هبوب الرياح، فلهذا السبب، يصعب وجود الجدار المستقيم.

وبهذه الطريقة، استطاع المعماري، أن يتخلص من هاجس الرياح الموسمية، التي رغم كونها سبب في تلقيح النخيل الطوال، مصادقًا لقوله تعالى: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ)، إلا أنها تعد مصدر إزعاج، لما تحمله من زوابع رملية، قد تتكدس وتعيق حركة المارة، فتقنية الجدار المنحني ، لا تسمح بتكدس الرمال بجانبه، وهذا عكس الجدار القائم الزاوية، وهو ما يفسر لجوء المعماري المحلي إلى الجدار المنحني ، وهو ما يفند القول، بأن الجدار المستقيم القائم على الزوايا يتطلب تقنية عالية يجهلها المعماري المحلي، وحقيقة الأمر أن الظروف الطبيعية كان لها تأثير واضح على عملية تنفيذ المباني.

ب – الأزقة والدروب:

وهي بمثابة الشرايين، التي تتفرع في القصر، لربط أطرقه الرئيسية بالأحياء السكنية، وهذه الدروب والأزقة، نفذت وفق معايير، احترمت فيها أخلاقيات الحشمة والحرمة، وكذلك لتسهيل حركة النسوة، داخل القصر، وبين البيوت دون حرج، وغالبًا ما تكون هذه الأزقة مسقوفة، وملتوية كذلك، لتوفير قسط وافر من الظل الذي يضفي على القصر نوعًا من الانتعاش، خلال فصل الحرارة، وهنا كذلك نجد هاجس الخوف من شدة الحرارة، كان له دور في توجيه عملية البناء.

ج – الرحبات والميادين:

ونقصد بها تلك الفراغات غير المبنية، والتي كثيرًا ما أخذت اسم الرحبة في المدينة الإسلامية، وقد تعددت وظائفها حسب الفصول والأوقات والمناسبات. وهي تشكل جزءًا هامًا في القصر، فهي (الفراغات)، على الصعيد المعماري نغمة فنية تنسجم وفقها الكتل المبنية، مع الفراغات الحرة، فينتج عنها توازن حيوي للقصر، فيه راحة للرؤية، ومتنفس للقصر، أما على المستوى الوظيفي، فتنتج عنها حركة وظيفية، نظرًا لقدراتها المتعددة الوظائف، وبالنسبة للممارسات الجماعية، فهي ذات طابع اجتماعي، إذ أنها تشكل أهم مجالات اللقاء، والتبادل الإعلامي، كما أنها توفر المجال الملائم، لكل الممارسات الاعتيادية في القصر. فهذا التخطيط الكبير، نفذت وفقه مخططات البيوت، فجاءت مكونة من صحن وسطي، تتمركز حوله مرافق البيت كلها، وهو فضاء المرأة على العالم الخارجي، إذ من خلاله تتصل مادية الأرض بروح السماء لتنسجم في عالم قوامه الروح والمادة لضمان التوازن الذي بني عليه هذا الكون. والظاهر من خلال هذه العناصر المعمارية، أن بناة القصور في إقليم توات، قد استلهموا العديد من خصائص المدن الإسلامية، فجاء القصر صورة مصغرة، للمدينة الإسلامية، مع شيء من التحريف لضرورات محلية واجتماعية، ولهذه الأسباب نستفسر عن العلاقة التي تربط القصر بالمدينة الإسلامية، ولمعرفة ذلك علينا أن نقف عند المدينة الإسلامية تعريفًا وخصائصًا.

المدينة لغة هي: الحصن يبني في أصطمة الأرض، والنسبة إليها مديني ، والجمع مدائن، ومدن بالمكان، أي أقام به،[٢٢] كما أنها من كلمة دين، وهي ذات أصل سامي استعملها الآشوريون والأكاديون بمعني القانون، كما استعملت كلمة الديان في اللغة الآرامية والعبرية بمعني القاضي .[٢٣] وحسب الفارابي، فالمدينة تندرج، تحت ما يسمي بالاجتماع الكامل، حيث أن الإنسان مفطور على أنه محتاج في قوامه، وفي أن يبلغ أفضل كمالاته، إلى أشياء كثيرة، لا يمكنه أن يقوم بها كلها هو وحده، بل يحتاج إلى قوم، يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه، ولهذا فهو يقسم المدينة، إلى فاضلة، تتحقق فيها سعادة الناس، ومدينة جاهلة تحقق التعاسة لأهلها.[٢٤]

ويدعم هذا الكلام، ابن خلدون بقوله: (الإنسان مدني بالطبع، أي لابد له من الاجتماع، الذي هو المدينة، وهو معني العمران، وبيانه أن الله، سبحانه وتعالى، خلق الإنسان، وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه، بفطرته وبما ركب فيه، من القدرة على تحصيله، إلا أن قدرة الواحد من البشر، قاصرة على تحصيل كل حاجاته...).[٢٥] والمدينة، هي مسكننا الطبيعي، حيث تكونت بشكل عضوي على غرار القرية، متنامية حول ساحة، أو شارع رئيس بشكل بطيء، يستجيب لحاجات الأجساد، والنفوس.[٢٦]

كما تدرج المدن، في عملية إعمار الكون، والاستخلاف في الأرض، وقد ارتبط هذا كله بالهدف الأسمي من الخلق، وهو عبادة الله عليها، فقد جاءت الآيات، والأحاديث النبوية، دالة على ذلك، حيث قال تعالي في سورة الملك:(قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ).وقوله أيضًا: (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ، وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ)، ومن هذا المنظور، فقد حث الإسلام، على تعمير الأرض وإصلاحها، فجاءت هذه النظرة للتعمير، حافزًا للتسابق في تعمير هذه الأرض، وفق المفهوم الإسلامي؛ وفي أجواء هذه القيم السامية، نشأة المدينة الإسلامية، التي حوت هذا الاجتماع الموثق بعرى التآخي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مصداقًا لقوله تعالى من سورة التوبة: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)؛ وبهذه الروح نال العمران في الإسلام القسط الوافر.

وقد جاءت المدينة المنورة على عهد الرسول صلي الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدون من بعده، تجسيد لهذا الفكر العمراني، وكانت بحق نموذج المدينة الفاضلة، التي ابتغاها الإسلام، وعبر عنها الفارابي، في كتاباته، ثم تطورت المدينة واتسعت، مع المحافظة على الخطة

الأساسية، في إقامة المدينة الأولى في الإسلام. إلا أن اتساع المدن في العالم الإسلامي، لم ينتج عن تخطيط مسبق، بالمعني المستخدم اليوم، كما لم تشرف على هذا الاتساع، سلطة مركزية، ولكن الذي حدث، هو تراكم لتصرفات السكان، بمعني أن نمو المدن وتشكل البيئة التقليدية، نتج عن قرارات السكان، وفي العادة هي قرارات ذات مستوى صغير، كبناء بيت في مزرعة خاصة، أو إحياء أرض مجاورة وهكذا، إلا أن هذا النمو، لم يكن عشوائيًا وفوضويًا، بل كان مبنيًا على مبادئ معينة.[٢٧]

وقد حدد المنظرون للعمران البشري، شروط إقامة المدن، وما يجب أن يتوفر فيها، وفي هذا يقول ابن خلدون: "اعلم أن المدن، قرار تتخذه الأمم...ولما كان ذلك القرار والمأوى، وجب أن يراعى فيه، دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع، وتسهيل المرافق لها؛ فأما الحماية من المضار، فيراعى لها أن يدار على منازلها جميعا سياج الأسوار، وأن يكون وضع ذلك في ممتنع من الأمكنة، إما على هضبة متوعرة من الجبل، وإما باستدارة بحر، أونهر بها، حتي لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة، فيصعب منالها على

العدو، ويتضاعف امتناعها وحصنها...ومما يراعى في ذلك، للحماية من الآفات السماوية، طيب الهواء، للسلامة من الأمراض).[٢٨] فالملاحظ من هذا الكلام، أن ابن خلدون، قد حدد أهم الشروط لسلامة المدن، والمتمثلة في ما يلي:

- توفر المدينة على المرافق الضرورية للسكان، من بيوت وغيرها، ذلك لأن المدن، هي نتيجة لترف، وتطور عمران إقليم ما.
- منعة المدينة، من خلال اختيار الموقع المنيع لإقامتها (هضبة، جبل)، وإحاطتها بالأسوار، التي تزيد من منعتها واستعصائها على الغزاة.
- توفير المياه الصالحة، الكافية لسد حاجات الناس، ودوابهم.
- سلامة هوائها من كل ما يعكره، لضمان سلامة الأبدان، والعقول، ومنه سلامة المدن.

وفي هذا المجال، أورد المقريزي، أثناء حديثه، عن مدينة الفسطاط، ما يلي: (...وإذا دخلت مدينة، فرأيتها ضيقة الأزقة، مرتفعة البناء، فاهرب منها، لأنها موبوءة..).[٢٩] ولو عرضنا قصور مناطق توات،[٣٠] على هذه الشروط، للاحظنا وبكل يسر، الاتفاق الكبير، بينها، وبين المدينة الإسلامية، وإن دل هذا على شيء، إنما يدل على المنبع المشترك لإعمار الفضائين (القصر المدينة)، والمتمثل في الفكر الإسلامي، الذي نجده مجسداً، في كل شير من عمارة تلك القصور، ولإثبات ذلك، سنتتبع العناصر المعمارية، للقصر لمعرفة مدى ارتباطها بالمدينة الإسلامية، ولنقتصر في ذلك، على الشروط التي أوردها ابن خلدون، في النص السابق وهي كما يلي:

توفير المياه الصالحة: وفي هذه النقطة، نجد التشابه بين المدينة، والقصر، فالمعروف أن منطقة توات، تقف على خزان هام من المياه الجوفية، والناتج من الطبقات المائية التي تعود الى فترة ما قبل التاريخ، إضافة إلى مجموع الأودية التي تصب في مناطق الإقليم، وما استتمرار التزود بالمياه عن طريق تقنية الفقارة، التي تعتمد على مخزون المياه الجوفية، والتي يفوق عمرها مئات السنين، إلا خير دليل على ذلك، مع العلم، أن المنطقة تعرف ضعفا كبيرا في تساقط الأمطار.

منعة المدينة: فمن خلال ما عرضنا له من وصف الدارسين للقصور، إضافةً إلى الزيارات الميدانية، تتجلى لنا، وبوضوح منعة تلك القصور، وذلك من خلال ما احتوت عليه، من وسائل دفاعية، كان من أهمها الأسوار، والخنادق، والأبراج، التي نادرًا ما يخلوا واحدا منها، ومع كل هذا، نجد أن جل القصور، قد بنيت على هضبات صخرية، زيادة في منعتها وحصانتها من كل طارئ.

سلامة الهواء: المعروف أن الارتفاع والماء والخضرة، من العوامل الأساسية، لسلامة الهواء والأبدان، وذلك بقياس ما يوفره الخضار، من الأكسجين، وفي هذا فقد سعى إنسان المنطقة، إلى جعل بساتينه بمحاذاة القصور، لينعم بالهواء المنعش، المنبعث من تلك الحدائق الوارفة الظلال، كما أن اعتدال الهواء، وسلامته تنبعث كذلك، من فلسفة الأعمار بالمواد البيئية، التي اعتمدها المعماري المحلي، فجاءت بحق نموذجًا للعمارة الطبيعة، التي حققت له، سلامة البدن وصفاء النفس.

أما من الناحية التنفيذية، فإن القصر والمدينة الإسلامية، وجهان لفكر واحد، وهذا من خلال التكوينات المعمارية، لكل منها والتي جاءت كما يلي:

المسجد: إن فكرة جعل المسجد هو قلب المدينة الإسلامية، والذي يربط بين أطرافها، لم تنفذ في الكثير من الأحيان، إذ أنه قلما نجد المسجد يحتل مركز القصر، وقد كان للظروف البيئية دور في هذا التوجه، ذلك أن القصر في المنطقة، منغلق على نفسه لتحقيق مبدأ السلامة، من المؤثرات البيئية، كالحرارة، والرياح، التي تمثل مصدر إزعاج، كما أن القصر لم يبني وفق خطة مسبقة، كما هو الحال في مدينة بغداد على سبيل المثال، فقد جاء إعمار القصور، وفق حركة النزوح البشري الذي عرفها الإقليم، إضافة إلى أن البناء جاء لتحقيق، عنصر الأمان لتلك الأقوام، التي هاجرت باحثة على الأمن، الذي افتقدته في موطنها الأصلي، ولهذا جاء عمران القصر يحمل صفة العمارة الحربية.

المسالك والطرقات: جاءت هذه العناصر استجابة للكثافة السكانية داخل القصر، وقد أعتمد في تنفيذها، الضيق والتعرج، مما يؤدي ذلك الى تعرضها لأقل قدر ممكن من أشعة الشمس المباشرة، إضافة إلى أن ضيق الشوارع، قد يتناسب مع وسائل التنقل في ذلك الوقت، وهو ما اعتمده المعماري المسلم في تنفيذ المدن الإسلامية،[٣١] كما روعي فيها توفير الحماية من كل الأخطار الطبيعية، إذ أنه يمكن للمتجول عبرها أي يلحظ الفرق، بين خارج القصر وداخله، وذلك من خلال اعتماد المعماري، على تقنية تعرج تلك الممرات، وتسقيفها وإذا كان هاجس الخوف من الظروف الطبيعية القاسية، قد وجه عملية البناء فكذلك فعل عامل الخوف من الغزو الخارجي للقصر، فكانت الممرات الملتوية وسيلة لإعاقة حركة المتسلل للداخل، وفي هذا المجال يشابه عمران القصر عمران المدينة الإسلامية إلى حد كبير.

البيت: نكتشف من خلال العناصر المعمارية لبيوت القصور، شدة التماثل، بينها وبين البيت العربي، وذلك من عدة أوجه نذكر من أهمها مايلي:

الصحن: تتمركز الحياة الاجتماعية في البيت الصحراوي، حول الصحن الذي تتحلق حوله جميع الغرف، حيث السبيل الوحيد لاستلهام النور والتهوية للغرف، كما يعد الصحن بقعة استقطاب الشمس، وقد قيل قديمًا أن البيت الذي تدخله الشمس لا يزوره الطبيب، فضلاً عن هذا، فالصحن، هو مجال التقاء الأرض بالسماء؛ وهنا كذلك يلتقي عمران القصر، بعمران المدينة.

النوافذ: الملاحظ في واجهات بيوت القصور، أنها صماء، بمعني عدم وجود الفتحات، في الجدار الخارجي، ولهذا فجل الفتحات، تكون على الصحن.

أما مواطن الاختلاف، بين عمران القصر، والمدينة، تكمن في أن المدينة، بنيت لاحتواء كل طبقات المجتمع، من المسلمين، أما القصر فقد قصر على طبقة معينة من الناس تربط بينهم روابط قرابة أو ولاء؛ كما أن المدن، وما تحتويه من هياكل عظيمة، هي نتيجة لحدوث الترف، والتمكين لأمة من الأمم، كما أورده ابن خلدون، أما القصر فكان لضرورة، اجتماعية ونفسية، والدليل على ذلك، تطور المدن، وبقاء عمران القصور على ما كان عليه، رغم وجود جل القصور التواتية، على حافة طريق القوافل التجارية، العابرة للصحراء، كما أن بساطة عمران القصر تبدي لنا رؤية دينية، مفادها الزهد في عمارة الدنيا، على غرار مدينة الرسول، صلي الله عليه وسلم.

الخاتمة

وصفوة القول؛ أن القصر في عمارة الجنوب الجزائري، يختلف عنه في عمارة الشمال، كما يختلف عن القصر في العمارة الإسلامية، ذلك لأننا اعتدنا أن مصطلح القصر دال على المبني الضخم المخصص للخليفة أو السلطان، في حين وجدناه في عمارة الجنوب الجزائري (إقليم توات) عبارة عن نسيج معماريي يشبه لحد كبير عمران القرى أو المدن، ومن هنا نجد التشابه الكبير بين عمران المدن وعمران القصور، ذلك لأنهما (المدينة، القصر) وجهان لفكر العمران الإسلامي، إلا أن عمران القصور، تحدده بعض الأطر القرابية، والمحلية، وأنه نشأ وفق حاجات ساكنيه، وذلك تباعًا لحركة النزوح التي تعرفها البشرية، من حل وترحال، ولهذا يندرج عمران القصور ضمن العمران التقليدي، في حين أن عمران المدن هو نتيجة للترف الذي عرفته أمة من الأمم كما جاء عند ابن خلدون، ومع هذا يبقى نسيج القصور من الأنسجة المعمارية التي استطاعت أن تحقق لساكنيها الراحة النفسية، والأمان من العوامل الطبيعية، والبشرية، وذلك من خلال مواد البناء المستعملة، وكذا تقنيات التنفيذ.

الهوامش:

(1) وقد اعتمدت تسمية هذه المقاطعات مجتمعة تحت اسم "إقليم توات" الذي عرف بها عند جل مؤرخي العصر الوسيط وذلك من باب تسمية الكل بالجزء. واسم توات هو الاسم الذي أطلقه العرب والطوارق على مجموع الواحات التي تنتشر بالمنخفض العميق لوادي الساورة ووادي مسعود، جنوبه وملحقاته من الأحواض الشرقية والغربية. كما تعددت الآراء حول معني كلمة توات، حيث يرى بعض المؤرخين أن توات اسم بربري معناه الواحات، أما عند السعدي: فان التسمية تكرورية وتعني وجع الرجل بلغة سنغاي، ويورد لذلك قصة سفر ملك مالي "كنكان موسي" إلى الحج ومروره بالمنطقة.

أما الأنصاري فيقول: أنها اسم لإحدى قبائل الصحراء بالجنوب، بينما يري" A . G . P . MARTIN " أن التسمية مشتقة من الجذر أو المقطع "OUA" المستمدة من الكلمة اليونانية "OASIS" وقد أستعمل هذا اللفظ في المنطوق البربري للدلالة على البقعة الخضراء من الأرض، ويستشهد في ذلك بتسمية " توات أنبو " TOUAT N´BOU " والتي تعني واحة الماء وكذلك كلمة "توات الحناء" التي تعني واحة الحناء. وقد أورد محمود فرج أن أصل الكلمة بربريًا، أطلقته قبائل لمتونه عند ما لجأت إلى الإقليم في منتصف القرن السادس الهجري.

بينما يبقى الأصل العربي للتسمية هو المعتمد عند الكثير من المؤرخين المحليين فيقول صاحب نقل الرواة "عندما فتح عقبة بن نافع بلاد المغرب، ولما عاد لوادي نون ودرعه وسجلماسه، وصلت خيله توات عام ٦٢ هـ فسألهم عن هاته البلاد وهو يعني توات، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب فأجابوه بأنها تواتي، فأنطلق اللسان بذلك بتغير اللفظ على لسان العامة لضرب من التحقيق. كما يرى مولاي احمد الإدريسي الطاهري أن المنطقة سميت بهذا الاسم لأنها تواتي للعبادة. والمتتبع لهذه الروايات يلاحظ أنها جاءت حسب رغبات من أوردها, وذلك لتبرير حاجة في نفسه؛ فبالنسبة للرأي الذي يرى أنها، واحة الماء أو الحناء، فله جانب من الصواب، من منظور أن المنطقة تزخر بموارد مائية جوفية هامة، الشيء الذي سمح لنظام الري بالفقارات أن ينتشر وهو القائم على منسوب المياه الجوفية، ضف إلى ذلك لولا وجود الماء ما قصدتها الأقوام المختلفة خلال فترات تاريخية متباينة، فالماء هو عنصر جلب الحياة. أما الرأي القائل أن التسمية نسبة لكونها تواتي لنفي عصاة المغرب كما جاء على لسان عقبة بن نافع؛ على حد قول صاحب الرأي، فيخلوا من الصحة، ذلك أن منطقة سجلماسه، التي قيل أن عقبة وصلها في بلاد المغرب، بنيت بعد منطقة توات بعدة سنين وكان ذلك في سنة ١٤٠هـ، في حين أن إعمار المنطقة كان قبل الفتح الإسلامي للمغرب، وكان ذلك من جراء الهجرات البشرية التي وفدت إليها.

إلا أن الرأي الموضوعي يرجح بربريتها ,وذلك لكون كل مسميات هذه المناطق ،من قصور وأدوات، هي بربرية, فمثلا منطقة تيديكلت, وهي إحدى مقاطعات الإقليم التواتي بربرية فكلمة تيديكلت تعني راحة اليد ,ولكون أن هاته المنطقة عبارة عن أرض منبسطة ،تقل فيها المرتفعات الجبلية فسميت بهذا الاسم لكونها تشبه راحة اليد المبسوطة، أما كلمة تيقورارين أو تيكورارين كما وردت عند ابن خلدون، فهي بربرية مفردها تاقورارت، والتي تعني المجتمعات أو التجمعات السكنية أو المعسكرات. هذا ناهيك عن مسميات الأشياء المستعملة في مناطق الإقليم الثلاثة، فهي بربرية الأصل منها ما بقي على هيئته الأصلية، ومنها ما شابه التغيير بدخول اللسان العربي, وما يؤكد كل هذا ولا يدع مجالا للشك في بربرية المنطقة، كونها تنتمي إلى مناطق المغرب الإسلامي. ومهما يكن الأمر، فإن المنطقة عُرفت بهذا الاسم عند جل المؤرخين، الذين تعرضوا لذكرها فلا يعقل أن تكون الأجزاء بربرية والكل عربي، كما أنه ليس من المنطقي، أن تبقى هذه المناطق إلى أن يحل بها العرب لتأخذ اسما لها، علمًا أن الوجود العربي في المنطقة يعود إلى الفتوحات الإسلامية ،نهاية القرن الأول الهجري وما تبعها من هجرات هلالية، إضافة إلى أن لفظة توات الحناء، ظلت مستعملة للدلالة على مناطق توات الوسطى إلى العصور الحالية.

(2) **إقليم توات بين القرنين ١٨ – ١٩م**، فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ١٩٧٧، ص ٠٧.

(3) **توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب من حوالي ١٨٥٠م الى١٩٠٢م**، أحمد العماري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس المغرب، ب– ت، ص ١٢.

(4) المرجع نفسه، ص ١٢.

(5) " Sahara . oranais . Gautier - (E . F), '' Paris 1903. P. 247.

(6) "**العمارة البيئية في المناطق الصحراوية الحارة**"، سليم فجال، دار الثقافة للنشر القاهرة، طبعة أولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٣ ص ٩.

(7) quatres siecle d`histoire marocain au Sahara, Martin .A .G . P, Paris 1923 . P. 02 .

(8) لقصابي جمع قصبة وهي اسم لواحدة من قصور منطقة تسابيت في الجهة الشمالية الشرقية لمدينة ادرار الحالية، عاصمة منطقة توات.

(9) نظام ري قديم اشتهرت به المنطقة، حيث يعتمد على سلسلة من الآبار الارتوازية، المتصلة فيما بينها عن طريق نفق أرضي ، يعرف عند الأهالي بـ (النفاد)، كما تساعد طبوغرافية الطبقات الأرضية على انتقال الماء من البئر الرئيسية، عبر النفق لتصل الى البساتين. للاستزادة راجع:

Boualem. R: (La Foggara, OPU, 2008)

(10) Gautier (E. f) , Ibid., P .250.

(11) أحمد العماري، المرجع السابق، ص ١٥.

(12) لسان العرب، ابن منظور، دار الحديث القاهرة، ج٠٧، ٢٠٠٣، ص٣٨٤.

(13) **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، عبد المنعم ماجد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ص١٢١.

(14) **نماذج من قصور منطقة الأغواط**، علي حملاوي، **دراسة تاريخية أثرية**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية الجزائر٢٠٠٦، ص١٦.

(15) **مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي الأول (١٣٢هـ–٢٣٢هـ)**، مصطفى بيطام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥، ص٢٩١.

(16) **قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني**، محمد الطيب عقاب، دار الحكمة، الجزائر، ٢٠٠٠م، ص٥١.

(17) المرجع نفسه، ص.٣٦

(18) Timimoun entre Tradition et modernite, Assali-M,memoire fin detude ,Epau, Alger ,juin 1998, p .01

(19) **المعمار المبني بالتراب في منطقة تافيلالت قصور مدينة الريصاني من خلال وثيقتين محليتين تنشران لأول مرة، المعمار المبني بالتراب في حوض البحر المتوسط**، محمد لمراني، سلسلة ندوات ومناظرات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المملكة المغربية ١٩٩٩، رقم ٨٠، ص.١٠١

(20) **الدين والطقوس والتغيرات**، نور الدين طوالبي ، ترجمة وجيه البعيني ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٨، ص.٣٤

(21) **جوهر التمدن الإسلامي، دراسات في فقه العمران**، مصفى بن حموش، دار قابس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ ص.١٨١

(22) لسان العرب، ابن منظور، ص.٢٣٣

(23) **إشكالية العمران والمشروع الإسلامي**، إبراهيم بن يوسف، مطبعة أبو داوود الجزائر١٩٩٢، ص.٦٦

(24) **أراء أهل المدينة الفاضلة، الفارابي**، قدم له وعلق عليه، الدكتور ألبير نصري نادر، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت لبنان، ط٠٢، ب .ت، ص.١١٨

(25) **كتاب العبر**....، إبن خلدون، طبعة مصححة ومنقحة، للأبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ب-ت)، ص.٢٧

(26) **الإنسان والمدينة**، جان اونيموس، تعريب، كمال خوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٧، ص.٥

(27) **عمارة الأرض في الإسلام**، مقارنة الشريعة، بأنظمة العمران الوضعية، جميل عبد القادر أكبر، مؤسسة الرسالة للطباعة، ط٠٢، بيروت١٩٩٥، ص.١٥٩

(28) ابن خلدون، التاريخ...المصدر السابق، ص.١٧٥

(29) **الخطط**، المقريزي، مكتبة الآداب القاهرة، الجزء الأول، ب ت، ص.١٤٤

(30) يبدو أن التشابه الموجود بين العناصر المعمارية للقصر، ومثيلاتها في المدن الإسلامية، جعل بعض الرحالة يطلقون عليها اسم المدينة وفي هذا الإطار يقول العياشي : (...ثم إن المدن بالصحراء – لذلك الوقت – مثل غرداية والأغواط وورقلة وأولاد جلال وتوقرت وبسكرة، تيميمون.....) للاستزادة راجع: **الرحلة العياشية، والجزائر من خلال رحلات المغاربة**، ا. مولاي بلحميسي).

(31) **العمارة الإسلامية والبيئة، الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي**، يحي وزيري، عالم المعرفة، مطابع السياسة الكويت، العدد ٣٠٤، يونيو ٢٠٠٤، ص.٩٦